

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة اورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة رفع الصليب الكريم المحيي في دير الصليب في الناصرة 29/9/2013 .

" اليوم يرفع الصليب فيتقدس العالم . لأنك ببسط يديك عليه أيها
المسيح المجالس الاب والروح القدس اجتذبت العالم كله الى معرفتك ،
فأهل المتوكلين عليك للمجد الالهي " .

أيها الاخوة الاحباء ،

أيها المؤمنون ، والزوار الحسنى العبادة .

" كلمة الصليب" (١ كور ١ : ١١) تعني القوة الإلهية الخلاصية التي،
أتمها ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح طوعاً عندما قدم نفسه
ذبيحة كفارية من اجل خلاصنا ، هذه القوة الإلهية ضمنتنا كلنا
وجمعتنا في هذا الدير الشامخ الحامل لاسم الصليب الكريم المحيي ،
والمعروف بقصر المطران ، لنؤدي شهادة روحية من خلال إقامة شعائر
العبادة الافخارستية - الشكرية - شهادة عمق وأصالة إيماننا بـ"
الصليب " هذا الصليب الذي نقيم ونكرز ونعترف برفعه الكريم في
العالم كله .

هذا التعبير لشهادة الإيمان منوط بأمرين :

الاول هو الصليب المسيح الكريم المحيي، والذي عليه كما يقول
المرنم : بسط المسيح يديه الطاهرتين ، مجتذبا العالم كله الى
معرفته ، وبشكل اكثر دقة ، جذب الرسول بولس ، في هذه المعرفة ،
معرفة كلمة الله المسيح ، كما يذكر ذلك في رسالته الى أهل غلاطية
: " وأما من جهتي ، فحاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح
، الذي به قد صلب العالم لي وانا للعالم"(غلاطية ٦ : ١٤) ، وبشكل
اكثر وضوحاً يقول الرسول بولس : ليس لي في هذا العالم اي شيء

يمكن له ان يشدني للافتخار والتباهي .

فعندما تيقنت ، أن المسيح أخذ صورة عبد صائراً في شبه الناس ، و صلب لعظيم محبته من أجل خلاصي أنا بولس ، عندها استقر افتخاري بموت المسيح على عود الصليب ، فمن خلال الايمان بفاعلية ونتائج هذا التدبير الالهي، الذي انتزع مني وللأبد الشغف بهذا العالم والارتباط به ، بالنسبة لي اصبح العالم ميتاً وفاقداً لقدرته وقوته ، وهكذا أنا أيضاً قد مت للعالم .

الامر الثاني يتعلق بموت يسوع المسيح على الصليب ، الذي حقق المصالحة لكل العالم المنظور وغير المنظور . كما يكرز الحكيم بولس : " وان يصلح به الكل لنفسه ، عاملاً الصلح بدم صليبه ، بواسطته سواء كان ، على الارض ، أم ما في السموات " (كولوسي 1 : 20) .

لقد سر الله الاب بهذه المصالحة ، التي أتمها ابنه الوحيد يسوع المسيح، عندما سفح دمه الطاهر على عود الصليب ، صانعاً السلام من خلال ذبيحته الكفارية ، فقد صالح الله الاب البشرية الساقطة على الارض ، وتصالحت الملائكة في السموات معنا نحن أبناء البشر ، كل هذا تم بسر الفداء على عود الصليب.

اصبح واضحاً انه من خلال الدم المسفوك على عود الصليب ، اي موت المسيح الخلاصي ، تحقق السلام والمصالحة بين الله والبشرية ، لكن هذا الحدث أيها الأخوة الأحباء ، يقصر عقل الانسان لان يدرك كنهه ويصبر غوته ، لان الحقيقة الدامغة والأكيدة هو ان الانسان مخلوق سقطت طبيعته من جراء الخطيئة التي اقترفها ، فأصبح خاضعاً لسلطان الموت والفساد.

ان ظاهرة الموت هي ظاهرة غير أصلية في حياة الجنس البشري ، لان الموت هو دخيل كما يذكر ذلك سفر الحكمة : " الله لم يصنع الموت ، ولا يسر بهلاك الأحياء " (حكمة ١ : ١٣) . الموت (دخل الى العالم) كما يقول الكتاب المقدس " لكن بحسد ابليس دخل الموت الى العالم " (حكمة ٢ : ٢٤) . وحما يقول المرنم " ان الموت الذي أصاب جنس البشر بواسطة الأكل من العود ، قد اضمحل اليوم بالصليب... " (كاتافسيات الصليب) ، من هنا يظهر ان سبب واصل الموت هو الخطيئة وذلك كن جراء عصيان آدم وحواء ، هذا ما يكرز به القديس يوحنا الدمشقي : " فان الجميع كيانهم من الله . وقد دخل الفساد بسبب شرنا ، ذلك لمجازاتنا ومنفعتنا ، " اذ ليس الموت من صنع الله ولا هلاك الأحياء يسره " (حكمة ١ : ١٣) . إنما كان الموت بالإنسان - اي بزلة آدم - وكذلك سائر العقوبات .

ان الموت قد دخل حياة الانسان نتيجة عصيانه لوصايا الله (تم ٢ : ١٧) ، وهذا ما يؤكد القديس يوحنا الدمشقي : " . . لولا الصليب لما بطل الموت أبداً ولا انحلت خطيئة أبينا الاول ولا سلبت الجحيم ولا منحت القيامة ، لولا كان بصليب ربنا يسوع المسيح " .

لهذا السبب يقول الرسول بولس : " ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً : لليهود عثرة ولليونانيين جهالة " (١ كورنتوس ١ : ٢٣) . صليب المسيح الكريم المحيي أيها الأخوة الأحياء : يحوي سر التدبير الالهي هذا السر المكتوم ، وغير المدرك منذ الأزل ، المحفوظ فقط لدى الله المثلث الأقانيم . هذا السر أعلن لنا من خلال ربنا يسوع المسيح الاله الكامل - والإنسان الكامل . فكونه اله كامل ، فانه زرع شجرة الحياة في وسط الجنة (تك ٢ : ٩) . وكأنسان كامل بعد تأنسه من العذراء والدة الاله مريم : زرع " في وسط الارض " خشبة الصليب لخلاصنا ، كما يذكر سفر المزامير : " اما الله فهو ملكنا قبل الدهور ، عمل الخلاص في وسط الارض " (ما ٧٣ : ١٢) .

ان خشبة الصليب التي سقاها المسيح الاله - الانسان بالدم والماء المقدسين من جنبه الطاهر ، بعد ان طعن جنبه بالحربة ، " ولكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربة للوقت خرج دمٌ وماء " (يو ١٩ : ٣٤) ، ان الدم والماء هما سر الكنيسة اي المعمودية والمناولة الإلهية ، هكذا تحول الصليب الى الشجرة المعطية الحياة ، هذه الشجرة بعد ارتوائها بالماء والدم ، أصبحت ثمرتها - شهية الأكل - ينبوع الحياة الأبدية .
أيها الأخوة الأحياء ،

انه من خلال الصليب الكريم المحيي الذي نرفعه اليوم بشكل احتفالي وطبيعي وروحي مع القديسة هيلانه المعادلة للرسول ، والقديس مكاريوس اسقف اورشليم اللذان عاينا وكانا شاهدين عند العثور على الصليب . الكريم المحيي في اورشليم ، لهذا الحدث الالهي الفريد نسجد بالحقيقة للمسيح الاله : " الذي بذل نفسه لأجلنا ، لكي يفدينا من كل إثم ، يطهر لنفسه شعباً خاصاً غيورا في اعمال حسنة " (تيطس ٢ : ١٤) . نحن نكرم الصليب المقدس لمخلصنا يسوع المسيح الاله الانسان ، الذي هو ينبوع تقديس ، وسبب تأله البشرية ، ومع المرئم نقول : " انك بارتفاعك أيها السيد على خشبة الصليب رفعت معك كل طبيعة ادم الساقط ، فلذلك نرفع نحن صليبك الطاهر يا محب البشر مستمدين منك القوة التي من العلى . وصارخين خلم أيها العلي المكرمين رفع صليبك الالهي البهي الموقر . بما انك الاله الرحيم " . وأعط للعالم لمنطقتنا السلام العلوي ، أمين .

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب

البطريك ثيوفيلوس الثالث
بطريك المدينة المقدسة اورشليم

مكتب السكرتارية العام - بطريكية الروم الأرثوذكسية
نشر في الموقع على يد شادي خشيبون